دعوة لتقدم أوراق بحثية

الحكاية والفضيلة: سؤال الأخلاق في القصص القرآني والكتابي

27-29 يناير 2020

مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق
كلية الدراسات الإسلامية
جامعة حمد بن خليفة
الدوحة، قطر

ورقة المعلومات الأساسية

الدكتور/ سامر رشواني

جامعة توبنغن

ملخص المعلومات الأساسية:

شهد القرن المنصرم ظهور عدد من القراءات الأخلاقية للنص القرآني قدّمت إسهامات تستحق الاعتبار على مستوى النظرية والمنهج: كالدراسة الفلسفية لمحمد عبد الله دراز وداود رهبر، والتحليل اللغوي الفلسفي لتوشيهيكو إيزوتسو ودراسات عديدة لفضل الرحمن وجورج حوراني وآخرين. بيد أن تلكم الدراسات لم تُلق بالًا لقضية تشغل حيزًا كبيرًا في القرآن؛ ألا وهي السرد؛ والتي تصل في جملتها إلى زهاء ربع النص القرآني. وعلى وجه العموم، لم ينل القصُّ القرآني حظه من التحليل الأدبي، ناهيك عن التحليل المناسب لأبعاده الأخلاقية.

تكتسب التقاطعات بين مجال القصص والسرد ومجال القيم الأخلاقية اهتمامًا متزايدًا في تخصصات الفلسفة الأخلاقية، والنظرية الأدبية والأخلاقيات الحيوية. ففي الفلسفة الأخلاقية، حدث "تحوّل نحو الأدب" وهي خطوة تهدف إلى إدماج نظريات الفلسفة الأخلاقية المجردة في واقع العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي يعنى بها الأدب. في الوقت ذاته، تزامن تحوّل الفلسفة نحو الأدب مع تحوّل مماثل للدراسات الأدبية نحو الأخلاق.

ومن هنا ترمي هذه الحلقة الدراسية إلى لفت الانتباه إلى هذا النوع الخاص من الخطاب القرآني ولتزيح الستار عن إمكاناته الهائلة باعتباره مصدرًا للتوجيه والتفكير الأخلاقي. كما تعدّ الدراسة الأخلاقية للسرد القرآني في حدّ ذاتها حقلاً خصبًا لمقارنة الأديان وتداخل الاختصاصات، فلا تخفى الأهمية البالغة للتحليل الذي يُعنى بالقصص القرآني مقارنة بنظيره في الكتاب المقدس وبالتراث اليهودي والمسيحي. كما يُعدُّ التحليل المقارن مطلبًا رئيسًا لفهم الرؤية القرآنية للعالم كما قدّمها القرآن في طيات سرده لقصص الكتاب المقدس وغيرها من القصص (قصص العرب). وتجدر الإشارة إلى أن آثار السرد القرآني في أدبيات المسلمين (في السيرة، والتفسير، وأدب القصص، وغيرها) ودورها في بناء القيم الأخلاقية والتزكية بصورتها التقليدية لدى المسلمين لم تحظ بحقها من البحث والدرس. والحق أن الفوائد الناجمة عن دراسة أخلاقيات السرد في الأديان لا تقتصر على النظرية الأخلاقية، بل تتعداها لتشمل العديد من المجالات المتنامية، مثل العلاج النفسي، والأخلاقيات الحيوية والأخلاق البيئية، ناهيك عن أهميتها البالغة في التعليم والرعاية الروحية.

أخلاقيات السرد والأخلاق السردية:

على الرغم من عدم ظهور التحليل الأخلاقي للسرد باعتباره مجالًا بحثيًا واضح المعالم إلا في الثمانينيات، إلا أن الاهتمام بقدرة الأدب على التأثير على جمهوره وحثّه على الخير أو الشر يعود إلى أفلاطون وأرسطو. وعلى الرغم من أن كلا الفيلسوفين نأى عن استخدام مصطلح الأخلاق بشكل صريح خلال سجالاتهم الأدبية، إلا أنهما اعترفا ضمنيًا بالأخلاق عنصرا أصيلًا للتأثير على الجمهور. إضافة لما سبق، تطرح تعليقات الفيلسوفين أمثلة بارزة على كيفية تلاحم الأخلاق مع الجماليات وكذا تؤكد أن فهم المنظّر للأخلاق غالبًا ما يمثّل جزءًا لا يتجزأ من رؤية فلسفية أوسع.

طوّر الفلاسفة المنشغلون بالأخلاق، من أمثال بول ريكور، وتشارلز تايلور، وألاسدير ماكنتاير ومارتا نوسباوم فكرة مفادها أن السرد فعل صياغة للهوية. كما يفترض هؤلاء الفلاسفة أن الإنسان بحاجة إلى قصة حياة كيما يترعرع في صورة شخص مكتمل المعالم. فدائمًا ما تحتوي القصص على محتوىً معياريّ يصف ما هو جدير بالاعتبار وما هو مهمل، ما هو جيد وما هو بخلاف ذلك. ومن ثمّ، فإن أحاسيسنا تجاه المعاني والمقاصد، وقيمنا ودوافعنا تستند في رمتها إلى هذه السرديات. وفي هذا الصدد، يؤكد تشارلز تايلور أن القصص التي تتناول الإنسان ذاته والمجتمع من حوله ما هي إلا أدوات توضّح للإنسان كيفية تشكيل "آفاق المعاني" التي تؤثر حتماً في العلاقات الاجتماعية والخيارات التي نتبناها في الحياة. إن السرد سباحة في الفضاء الأخلاقي، وهو طريقنا نحو تشييد دعائم التماسك ومواصلة الحياة.

من جانبها، أفادت نوسباوم أن الأخلاق هي أحد فروع الفلسفة وهي تُعنى بالسؤال الذي سعى أرسطو من خلاله للوقوف على طبيعة الحياة الطيبة، لكنها لم تك راضية عن الطرائق التي تعاملت بها الفلسفة التحليلية مع هذا السؤال. وتضيف نوسباوم أن الأسلوب الذي انتهجته هذه الفلسفة في التفكير أوجد بونًا شاسعًا بين الشكل والمضمون: فكيف يتسنى للمرء أن يناقش، مثلًا، صراعًا أخلاقيًا منشؤه الحب من خلال المعطيات المجردة التي تقدّمها الفلسفة التحليلية؟ وعلى النقيض من ذلك، تسعى السرديات إلى ملاءمة المضمون مع شكله (وبالعكس)، أي أنها تنشد إقامة علاقات بين أخلاقيات المرويات وأخلاقيات الرواية، بحيث يشدّ بعضها من أزر بعض ويعضده. وقد تمخضت تلكم المساعي عن تحقيقات واستقصاءات أخلاقية أجرتها القصص بطرق فاقت في روعتها تلكم نهجتها الفلسفة التحليلية. وبشكل أكثر تحديدًا، تستكشف الرواية الأدبية الجوانب الملموسة للمعضلات الأخلاقية التي تواجهها شخصياتها، وهذا ما يمنح قوة إدراكية للعواطف والمواقف الأخلاقية.

القصص القرآني والأخلاق:

عند استقراء نسبة القصص في القرآن نجدها كبيرة للغاية، 1453 آية، أي زهاء ربع آي القرآن. وهي تتألف من قصص الأنبياء، والرسل، والحكماء والشخصيات التاريخية في العصور القديمة. وهي غالبا ما ترد في صورة مثانٍ تضع المستمع/ القارئ في حالة قرار أو اختيار أخلاقي أو إلهي يتعلق بمصيره. تأخذ المثاني شكل الخير مقابل الشر؛ أو الهدى مقابل الضلال؛ أو الإيمان مقابل الكفر؛ أوالاستسلام لله مقابل عصيانه؛ أوالبطولة مقابل مناصبة العداء له؛ أو الرسالة والنبوة مقابل الفرعنة والطغيان؛ أو المدن الطيبة مقابل المدن الخاوية والمدمرة.

يعوّل المفسرون المسلمون على هذه القصص القرآني في ضرب أنموذج عملي على الخضوع لله ومآل عصيانه، مضيفين إلى تلكم الآيات تفاصيل مستمدة من آثار إسلامية وكتابية يهودية ومسيحية. ومن ثمّ، فلا غرو إذا ما نظرنا إلى أهمية السرد في القرآن أن نجد أن قصص الأنبياء قد أضحت في حدّ ذاتها نوعًا من الأدب الإسلامي، حتى قبيل نهاية القرن الأول الهجري. وبالنسبة للآثار التي يعوّل عليها المفسرون (والتي نجد بعضها في صورة تعليقات على النص القرآني) فهي مستمدة من اليهود، والمسيحيين، والعرب، والإغريق، والفرس وغيرهم، لكنها تم انتقاؤها وإعادة تفسيرها وتكييفها بما يتلاءم مع مفهوم القرآن ونظرة الدين الإسلامي لها. لذا، فمن الممكن النظر إلى قصص الأنبياء باعتبارها واحدة من أهم الأدوات الدينية والأخلاقية في القرآن وفي الدين الإسلامي ككل.

يمكن تصنيف المقاربات التقليدية للسرديات القرآنية إلى ثلاثة أنواع: أولها، المقاربة التاريخية واللغوية، والتي تُعنى بجمع التفاصيل التاريخية والأصول اللغوية للقصص القرآني، وثانيها المقاربة التفسيرية، وهي التي تُعنى بتوضيح المعنى الخارجي للقصص دون عناية بالتفاصيل التاريخية. وثالثها المقاربة الرمزية، وهي التي تسعى للولوج في مكنون المعاني الخارجة عن الظاهر أو المنطوق الحرفي للقصص في محاولة لسبر أغوار الرسائل الدينية والأخلاقية التي تحملها القصص في طياتها.

ولقد ظهر تأثير السرد القرآني في حقبة مبكرة للغاية من تاريخ الأدب الإسلامي، فها نحن نرى صداه في: التفسير وغيره من أنواع الأدب السردي، مثل السيرة، والحديث، وسير الصالحين، وقصص الكتاب المقدس وقصص الآثار وفي التاريخ. ففي معرض حديثه عن المعنى الظاهر والباطن للقرآن، يقول أبو عبيد في كتابه "غريب الحديث": إن الله عز وجل قد قص عليك من نبأ عاد وثمود وغيرهما من القرون الظالمة لأنفسها فأخبر بذنوبهم وما عاقبهم بها فهذا هو الظهر إنما هو حديث حدثك به عن قوم فهو في الظاهر خبر وأما الباطن منه فكأنه صير ذلك الخبر عظة لك وتنبيها وتحذيرا أن تفعل فعلهم فيحل بك ما حل بهم من عقوبته. ومع ذلك، ذهب جلّ اهتمام غالب المفسرين إلى الجانب الظاهر والملمح التاريخي للقصص القرآني، مما حدا بالبقاعي للتمادي في تقريعهم بقوله: "فما صدّ هذه الأمة عن فهم القرآن: ظنهم أن الذي فيه قصص الأولين وأخبار المثابين والمعاقبين من أهل الأديان أجمعين؛ أن ذلك إنما مقصوده الإخبار والقصص فقط، كلا، وليس كذلك، إنما مقصوده الاعتبار". أما الاعتبار، فهو، وفق منظور البقاعي وشيخه الحرَّالي، عملية تأويلية

معقدة تهدف إلى عبور المعنى التاريخي الظاهري للسرد القرآني وصولًا لقيمه الأخلاقية وبنيته المنشودة، التي تقوم بدور الأنموذج التوجيهي للأفراد والمجتمع الإسلامي بأكمله. ازدهر هذا النهج التأويلي بشكل أساسي في التأويلات الصوفية والباطنية، مثل تفسير ابن عربي. وعلى الجانب الآخر، نجد بعض العلماء الذين اقترحوا قراءة القصص القرآني قراءة رمزية، من أمثال الدهلوي.

على صعيد متصل، ازدهرت أنواع عدة من أدب السرد في مطلع القرن السابع. فمع ظهور القصّاص وتطوّر صنعتهم وبزوغ نقاش مبكر للغاية حول مدى شرعية هذه الصنعة، توافرت أدبيات ثرية يمكن من خلالها الوقوف على مدى تأثير القصص القرآنية. وقد كشف هذا النقاش عن مدى إدراك المسلمين الأوائل لقوة السرديات وتأثيرها في تشكيل الأخلاق لدى الجماهير. فها هو ابن الجوزي يعزو الهجوم القاسي على القصّاصين إلى مزجهم القصص المعروفة، والتي يمكن أن يقتدي بها المسلمون باعتبارها نماذج أخلاقية، مع غيرها من الروايات غير المعروفة، والتي لا يُسمح لها أن تكون مصدرًا للتوجيه الأخلاقي. كما لعب الجدل حول القصص الخيالية والأخرى الواقعية دورًا بالغ الأهمية في تشكيل موقف تجاه القصص بوجه عام في دوائر المحدّثين والفقهاء المتأخرين.

في علم الكلام، احتدم نقاش طويل حول "عصمة الأنبياء"، ومن هنا كان هذا المبدأ دليلًا أخلاقيًا استهدى به العلماء للوصول للفهم الصحيح لقصص الأنبياء في القرآن وغيره من الآثار.

واليوم، يدور بين الفينة وأختها سجال بين علماء المسلمين حيال الخصائص الأدبية للسرد القرآني. حيث مال البعض إلى القول بأن الغاية المقصودة من قصص القرآن لا تقف في المقام الأول عند المنحى "التاريخي"، بله إن القرآن استخدم "الفن القصصي" لبث رسالته الإلهية، والاجتماعية والأخلاقية. في هذا الإطار قدم محمد أحمد خلف الله أطروحته عن القصص القرآني، والتي تقلص البعد التاريخي لها، وتخضعها لمنهج تحليل نفسي، يستهدف الكشف عن الرسالة الكامنة خلفها وليس الحقائق التاريخية المفترضة. لم يسلم خلف من توجيه أصابع الاتهام إليه جراء تشكيكه في المصداقية "التاريخية" لقصص القرآن.

وقد شهدت العقود المنصرمة ظهور عدد من القراءات الأخلاقية للنص القرآني قدّمت إسهامات تستحق الاعتبار على مستوى النظرية والمنهج: كالدراسة الفلسفية لمحمد عبد الله دراز، والتحليل اللغوي الفلسفي لتوشيهيكو إيزوتسو ودراسات عديدة لفضل الرحمن. غير أن السرد القرآني لم يأخذ حظه من التحليل الأدبي، ناهيك عن التحليل المناسب لأخلاقه.

القصص في الأخلاق الطبية

برزت أهمية القصص في أخلاق مهنة الطب خلال العقدين الماضيين من خلال ثلاث مناحي: أولها، توظيف القصص كنماذج لتدريس الأخلاقيات المهنية القائمة على المبادئ، والتي كانت النمط السائد لأخلاق مهنة الطب. ثانيها، أخذت هذه القصص منحى التوجيه الأخلاقي تجاه حياة طيبة لا يقف مداها عند ممارسة الطب ولكن يمتد ليشمل شتى جوانب حياة الفرد. أما ثالث هذه الطرق، توظيف روايات من شهود عيان لتضع بين يدي المتلقين تجربةً لا يشوبها كذب وخبرةً ممزوجة بالعاطفة، وهي ترمي من وراء ذلك إلى حثهم على تنقيح الممارسات الطبية والمبادئ الأخلاقية المعمول بها.

يوفر اكتساب المهارات السردية المتمثلة في "التعرف على القصص التي تدور حول المرض، واستيعابها، وتفسيرها والتحرك من خلالها" نظرة شاملة للعاملين في مجال الرعاية الصحية للوقوف على عالم المرضى والتعرف على معاناتهم. وفي حين أنه لا يتطرق شك لضرورة توافر الكفاءة الطبية العلمية كي يتسنى التصدي للمشكلة الطبية التي يواجهها المريض وعلاجها، فإن الكفاءة السردية تدعونا إلى "التحرك نحو التفاعل" وتحثنا على "الالتقاء عند نقطة مشتركة تحملنا على الاضطلاع بمسؤولياتنا تجاه الآخرين وتدفعنا نحو إيجاد تغيرات ذاتية نحو الأفضل".

أسئلة الدراسة:

تنظر الأخلاق السردية للقيم الأخلاقية على أنها جزء لا يتجزأ من القصص وروايتها، ومن ثمّ فهي تركّز على واحدة أو أكثر من بين قضايا أربع، وهي كالتالي:

(1) أخلاق المروي: ما هي الأبعاد الأخلاقية لأفعال الشخصيات، لا سيما الصراعات التي يواجهونها والخيارات التي يتخذونها حيال تلك الصراعات؟ وما هي الأبعاد الأخلاقية لتفاعل أي من الشخصيات مع غيرها؟ وكيف تشير حبكة الرواية إلى موقفها من القضايا الأخلاقية التي تواجهها الشخصيات المشاركة فيها؟

(2) أخلاق الرواية: ما هي المسؤوليات الأخلاقية، إن وجدت، لرواة القصة تجاه جماهيرهم؟ ما هي الأبعاد الأخلاقية لأساليب السرد؟ وكيف يسهم استخدام هذه الأساليب في إملاء ونقل القيم الموضّحة لعلاقة الرواة بأدواتهم (الأحداث والشخصيات) وجماهيرهم؟

(3) أخلاق الكتابة/ الإنتاج: ما هي الآثار الأخلاقية المترتبة على اختيار سرد قصة من نوع ما بدلًا من قصة أخرى في سياق تاريخي معين؟ وهل يسهم وضع قصة عن حياة المرء في تحويل حياة غيره إلى ما هو أفضل وفي تحليه بالأخلاق الحميدة؟

(4) أخلاق القراءة/ التلقي: ما هي الالتزامات الأخلاقية للجمهور تجاه الرواية نفسها، وموادها ومؤلفها؟ وما هي تبعات نجاح الجمهور أو فشله في الوفاء بتلكم الالتزامات؟ وهل تسهم قراءة الرواية في تحويل حياة المرء إلى ما هو أفضل وفي تحليه بالأخلاق الحميدة؟

بناء على هذه الخلفية العامة ووفق ما اقترحه عدد من نقاد الأدب، نقترح الموضوعات العامة التالية كإطار أساسي لدراسة القصص القرآني من منظور متعدد الأديان والتخصصات. وللباحثين مطلق الحرية في إضافة المزيد من الأبعاد النظرية إذا ما تراءى لهم اشتمالها على جوانب مبتكرة أو تبين لهم كونها جديرة بالبحث ضمن هذه الموضوعات العامة:

1. اللغة الأخلاقية لقصص القرآن:

سيناقش هذا الجزء المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالقصص القرآنية، ولغتها الأخلاقية، وبنيتها، ووظيفتها وتطورها. ويمكن توجيه الأسئلة المنهجية إلى مفاهيم ومنهجيات أخلاق السرد وتطبيقاتها في القرآن بشكل خاص وفي الأدب الإسلامي بشكل عام.

أ. المصطلحات: مثل، القصص، الخبر، الحديث، النبأ،
ب. الاحتجاج القرآني بالقصة،
ج. المصطلحات الأخلاقية والدينية في القصّ القرآني: مثل، عبرة، ذكرى، موعظة،
د. الوظيفة الأخلاقية للقصص القرآني
ه. التاريخ، أم الأخلاق، أم التسلية!

2. التفسير المقارن للقصص القرآني

سُيكرس هذا الجزء لإجراء دراسة مقارنة بين القصص القرآني وما يناظره من قصص الكتاب المقدس وقصص ما قبل الإسلام. وسينصبّ التركيز في هذا الجزء على التحليل الأخلاقي لهذا التراث السردي، وبيان المفاهيم المتعلقة به، وبنيته، والتطورات التي أدخلها القرآن عليه.

أ. تراث السرد العربي قبل الإسلام
ب. قصص الكتاب المقدس وقصص القرآن: تراث مشترك وفضائل مختلفة؟
ج. التفسير الاعتباري لقصص الأنبياء

3. تلقي القصص القرآني

إن ارتباط المسلمين بالقصص القرآني وتفاعلهم معه له أواصر ذات تاريخ ممتد ومسارات معقدة. لذا، ينبغي أن ينحصر تركيز هذا القسم على مختلف التفسيرات القصص القرآني النابعة من اهتمامات أخلاقية.

أ. قصص القرآن في التفسير الإسلامي

ب. "قصص الأنبياء" كفن وعلم من علوم القرآن
ج. التأويل الصوفي لقصص القرآن
د. أدب القصّاص

4. أخلاق السرد والرعاية الطبية

كيف تسهم قصص القرآن في أخلاقيات مهنة الطب من خلال ما تحتويه من مضمون ومن خلال تحليل نسقها؟ وهل يمكن تطبيق تقنيات النقد الأدبي على تحليل النصوص والممارسات الأخلاقية بغية الوقوف على مختلف وجهات النظر حيال المعضلات الأخلاقية؟ إلى أي مدى يمكن أن تسهم السرديات التي تتناول الأمراض في القرآن أو في الأدب الإسلامي في استكشاف المريض والممارس لمختلف الخيارات الأخلاقية واستيعابهم لها؟

5. السرد والأخلاق البيئية

هل يتوافر لدينا في قصص القرآن وسرديات الآثار الإسلامية ما يمكن التعويل عليه باعتباره أساسًا للأخلاقيات البيئية؟ وما هي القيم/ الفضائل التي تبثّها هذه السرديات، وإلى أي مدى تأثرت هذه السرديات بالنظرة التاريخية للطبيعة والإنسان؟

المواعيد النهائية لتقديم البحوث وطريقة التقديم

من المزمع انعقاد ندوة " الحكاية والفضيلة: سؤال الأخلاق في القصص القرآني والكتابي" خلال الفترة ما بين 27 و29 يناير 2020، تحت رعاية مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق. وسيتم نشر الأوراق المقبولة في مجلة محكّمة بالتعاون مع مؤسسة "بريل" للطباعة والنشر. ويتعين على المتقدمين مراعاة ما يلي:

أ. 29 أغسطس 2019: الموعد النهائي لاستلام ملخصات الأوراق البحثية (بحيث لا يزيد الملخص عن 300-500 كلمة) التي تحتوي على بيان مشكلة البحث، والسؤال الرئيس والأسئلة الفرعية التي سيتناولها البحث والمنهجية المقترحة للإجابة على هذه الأسئلة.
ب. 5 سبتمبر 2019: سيتم إخطار الباحثين الذين قبلت ملخصاتهم، ومن ثمّ دعوتهم لكتابة الأوراق البحثية الكاملة.
ج. 25 نوفمبر 2019: الموعد النهائي لاستلام مسودة الأوراق البحثية، على أن تتراوح المسودة ما بين 2000 و7000 كلمة وعلى أن تتم الكتابة بإحدى اللغتين الإنجليزية أو العربية. ترسل المساهمات البحثية على البريد الإلكتروني QuranicStories@cilecenter.org
د. كما يرجى إرسال سيرة ذاتية للمشارك لا تزيد عن 250 كلمة.
ه. 5 ديسمبر 2019: يتلقى المشاركون دعوة رسمية لحضور الندوة.
و. 27-29 يناير 2020: تعقد الندوة في مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق في مدينة الدوحة بدولة قطر.
ز. يتحمل مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق نفقات السفر والإقامة.
ح. يتحمل مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق تكلفة النشر المتاح مجانًا للأبحاث المقبولة في مجلة محكّمة، علاوة على تكلفة الترجمة من العربية إلى الإنجليزية أو العكس.
ط. 1 أبريل 2020: يتعين على المشاركين إرسال نسخة نهائية من الأوراق البحثية في غضون شهرين من تاريخ انعقاد الندوة. ويتراوح البحث ما بين 7000 و10000 كلمة.
ي. للاستفسارات العلمية حول موضوع الندوة ونطاقها، يمكن مراسلة د. سامر رشواني على البريد الإلكتروني *srashwani@hotmail.com*.